هـــذه الشجرة

للأستاذ عباس محمود العقاد

للأستاذ محمد عبد الحليم أبو زيد

لم يكد الفكر ينب لإخضاع كل شيء من مظاهر الوجود للدرس ؛ والتحليل ؛ والتجلية ؛ حتى اصطدم بأسوار الشخصية الانسانية ؛ فلقد لبث حيالها طويلا لاقتحام مجاهلها ؛ واضاءة جوانبها وكشف سراديبها ، متخذا شواردها وظواهرها وما بند عنها وينبعث منها في سكونها واضطرابها ؛ في تألقها ، وانطفائها ؛ في إقبالها وإدبارها ؛ وسيلة إلى النفوذ إلى أعماقها ؛ ومع أنه استطاع بفضل تسجيل هذه الظواهر ؛ واستقراء هذه الأطوار أن يقدم إلى حد كبير معلومات قيمة عن هذا العالم ؛ وكنه تلك الشخصية المحجبة ؛ وإن كان الكثير منها لا يزال رهنا بما يدعم قوته في المستقبل أو يهدمه ؛ ومع أن هذه الدراسات قد شارفت الاستواء العلمي في الغرب ، فهي لا تزال محاولات أولية في اللغة العربية ؛ تقوم على الترجمة حينا و — الاختلاس — حينا آخر . فاذا ظفرت اللغة العربية بهذا البحث عن شخصية المرأة ومحاولة تحليل هذه الشخصية ؛ وحل الكثير من عقدها ؛ والغوص إلى مصدر تجاوبها الروحي والنفسي ، واتصال ذلك بنظرتها في الحياة ودخله في تكييف نفسيتها وتكوين خلقها وإبانة مواضع سلوكها وما يتصل بعواطفها وأحاسيسها ؛ فقد كان فوزاً عظيما للغة والأخلاق ؛ أما اللغة فقد اكتسبت ثروة في ناحية لا تزال يعوزها الكثير منها ؛ فلقد كان يطامن من شخصيتنا العلمية خواء المكتبة العربية من هذا اللون من الدراسات على كثرتها وعمقها في المكتبة الغربية ؛ وأما الأخلاق فلا تخدم إلا بأمثال هذه الأبحاث ؛ لأن المصلح الأخلاقي إذا أخطأه الوقوف على حقيقة الدوافع النفسية ومصادر هبوبها ؛ والعوامل التي تعمل فيها حتى يتهيأ له قيادها حيث تجب القيادة ، ويطب حيث يكمن داؤها ؛ فشلت إلى حد كبير رسالته ؛ لا أقول إن هذا البحث قد قال الكلمة الأخيرة في هذا الموضوع ، أو أن كل ما فيه مبرأ من المآخذ التي يمكن أن تكون موضع جدل بين أساطين هذه الدراسات ؛ بل ترجع قيمته إلى أنه أول بحث في اللغة العربية على ما أعلم — من نوعه ؛ وأنه قد جمعت له من وسائل الفوز مالا يظفر كثير بمثلها ؛ فلقد تناوله ذهن منطق بسليقته وطبعه ؛ وقد نهل طويلا من أصفى مناهل المنطق ؛ وعكوفه على هذه الدراسات العميقة الدقيقة ؛ في هذا الجانب النفسي ؛ وما يتصل به عكوفا متواصلا ؛ وليس أدل على ذلك من هذا الثبت في آخر الكتاب يرشدك إلى أن هذا الموضوع ليس وليد المصادفات الغريبة ؛ بل هو كمين في ذهن الكاتب من فجر حياته الفكرية ؛ ووقوفه التام على ما يود به الأقلام في هذه الناحية ؛ ثم صياغته صياغة محكمة طلية ؛ كل هذا يضع هذا البحث من القلوب موضع الاكبار والحب ؛ لأنه الباكورة الأولى التي نرجو مخلصين أن تتابع ؛ وقيمة الكتاب يجب ألا تقاس فقط بكثرة ما يحمل من نظريات لا يحوم حولها النقد ؛ بل يجب أن تقاس أيضا بما يثير من آراء ؛ ويبعث من أفكار ؛ وينير من جوانب ؛ ولعل هذا النوع يكون أطول بقاء وأقوى على النفع بما يتولد عنه ويتجاوب معه ؛ وحسبي ذلك في تقديم هذه الشجرة ، فليقبل عليها القارىء ليجني ثمرها ؛ ويهدأ في ظلها .

محمد عبد الحليم أبو زيد

وكذلك كان الحال في « كتاب محمد عبده » فان محمد عبده الفتى لم يُعرض كما عرض محمد عبده الطالب بالجامع الأحمدي في بضع الصفحات الأولى من الكتاب . ومحمد عبده المدافع عن الاسلام ص ١٢٦ لم يطل الكلام فيه كما طال مع الشيخ عليش صفحات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠

إلا أن عثمان أمين يمتاز بالنصوع حتى على إيجازه ، والحق أني أحببته محدثا في ندوتنا الأدبية : ندوة الأحرار . وأحببته باحثا في الفلسفة وكاتبا عن « محمد عبده » . وأحببته فوق ذلك مثالا رفيعا لتواضع العلماء .

محمد عبد الغني حسن

الشوق العائد

تحت الطبع

ديوان جديد للشاعر علي محمود طه